Journal Of the Iraqia University (75-1) December (2025)
ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

# الإسهامات العلميّة للمرأة الدمشقية خلال العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م

م.د. وئام عاصم إسماعيل
كليّة التربية الأساسيّة / جامعة ديالى

# The scientific contributions of Damascene women during the Abbasid era (132-656 AH / 749-1258 AD)

Assistant Professor Weam Asim Ismail
College of Basic Education - University of Diyala

## الملخص:

أسهمت المرأة الدمشقية في الحياة العلميّة والثقافية، مراعية في ذلك نظرة المجتمع الدمشقي لها، ونبغت فيه وتخصصت في ميادين العلم وفروعه؛ فكانت المحدثة، والواعظة، والفقيهة، والعالمة، والشاعرة، والمتعبدة، والكاتبة، قد أسهمت في إثراء الحياة العلميّة في المجتمع الدمشقي؛ إذ وقفت إلى جنب الرجل في ذلك المجال في العصر العباسي، وزادت من مكانتها في تلقي العلوم والمعرفة؛ فكان لنساء الطبقة الحاكمة النصيب الأوفر في ذلك الإسهام؛ نظرًا إلى ظروفها المهيئة لذلك، وحرصهنَّ على تخليد ذكراهنَّ في إقامة المدارس، والخوانق، والأربطة، وبفضل إنفاقها ووقفها على تلك المنشآت العلميّة، وتوافر الدعم المالي لها؛ لضمان الاستمرارية. الكلمات المفتاحية: الإسهامات، العلميّة، المرأة، دمشق، العصر العباسي.

**Abstract:**

Damascene women contributed to scientific and cultural life, taking into account the Damascene society's view of them, and they excelled in it and specialized in the fields and branches of science. They were the hadith scholars, preachers, jurisprudents, scholars, poets, worshippers, and writers, and they contributed to enriching scientific life in Damascene society. They stood alongside men in this field during the Abbasid era, and increased their status in receiving sciences and knowledge. The women of the ruling class had the lion's share in this contribution, due to their favorable circumstances, and their keenness to immortalize their memory by establishing schools, monasteries, and monasteries, thanks to their spending and endowments on these scientific facilities, and the availability of financial support for them, to ensure their continuity. Keywords: Contributions, scientific, women, Damascus, Abbasid era.

## المقدمة:

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم المرسلين سيدنا مُحَمَّد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين، أَمَّا بعد فأصبحت دمشق من أَبرز مراكز الحركة العلميّة والثقافية في العصر العباسي؛ فتصدرت مكانة عالية ومرموقة؛ إذ نبغ فيها عالمات، وفقيهات، ومحدثات، أسهمن في إرساء قواعد الحضارة العربيّة الإسلامية، ولا تزال أعمالهنَّ العلميّة تشهد بعظمة إنجازاتهنَّ في المجتمع الدمشقي؛ إذ وقفت إلى جنب الرجل في ذلك المجال.أَمَّا المنهج الذي جرى اعتماده في هذهِ الدّراسة فهو المنهج الوصفي التاريخي المعتمد على النصوص التاريخية الواردة في كتب التاريخ، اقتضت طبيعة الدّراسة تقسيمه على عِدَّة فقرات رئيسة، منها: المقدمة، وعوامل ازدهار الحياة العلميّة للمرأة الدمشقية، والمجالس العلميّة والممارسات الدِّينية للمرأة الدمشقية، والمؤسسات العلميّة والتعليمية للمرأة الدمشقية، والميادين العلميّة للمرأة الدمشقية، وختم البحث بخاتمة تطرقت فيها إلى أَبرز النتائج، فضلًا عن ثبت المصادر والمراجع.

**أوّلًا: عوامل ازدهار الحياة العلميّة للمرأة الدمشقية:**أصبحت دمشق من أَبرز مراكز الحركة العلميّة والثقافية في تلك الحقبة؛ فتصدرت مكانة عالية ومرموقة؛ إذ نبغ فيها عالمات، وفقيهات، ومحدثات، أسهمن في إرساء قواعد الحضارة العربيّة الإسلامية، ولا تزال أعمالهنَّ العلميّة تشهد بعظمة إنجازاتهنَّ، وقد أسهمت عِدَّة عوامل في نمو الحركة العلميّة والثقافية وازدهارها للمرأة الدمشقية، وهي على النحو الآتي:

١. **تعليم المرأة**:تعددت مظاهر الحياة العلميّة والثقافية في العصر العباسي؛ إذ كثرت النساء المتعلّمات، وحسبت الأوقاف على المؤسسات العلميّة؛ فكان لتشجيع الخلفاء والسلاطين أثره الكبير في انتشار التعليم للمرأة الدمشقية في تلك الحقبة؛ فنلحظ أَنَّ التعليم وإنْ كان خاصًا بالذكور، فإنَّهُ قد شمل الإناث أَحيانًا؛ فكان كثيرٌ من العلماء والفقهاء يحرصون على تعليم المرأة؛ حتّى نبغ عدد كبير من العالمات الدمشقيات، أمثال: ست الوزراء[١]، وحزيمة الدمشقية[٢] (ابن رجب الحنبلي، د.ت، ص٢٣٤).لذلك اعتنى المجتمع الدمشقي في ذلك العصر بتعليم المرأة وتأديبها (ابن بسام، ١٩٧٩، ص٤٤)؛ إذ كان للمرأة رغبة شديدة في الإقبال على التعليم وطلب العلم (الأنصاريّ، ١٩٨٤، ص٤٩٠)، ولاسِيَّمَا إذا كان بإمكان المرأة التعلّم والسماع على يد الشيوخ في بيوت خاصة؛ فنلحظ أَنَّ أَغلب المتعلمات كن من بنات العلماء والفقهاء والقضاة، اللاتي كُن يستفدن من الدروس التي كانت تعقد في بيوتهنَّ؛ ليُعلّم طلبه العلم، كما هو الحال لابنه القاضي شمس الدِّين عُمر، الذي كان يلقي دروسه في بيته (ابن الدبيثي، ١٩٩٧، ص٣٩١).

٢. **الأسرة**:هي الخلية الأساسيّة في كُلّ مجتمع، والمرأة هي عماد الأسرة؛ فالدور الذي تمارسه المرأة في أسرتها من أعظم الأدوار الخيرية التي يمكن أَنْ تنسب إليها؛ إذ تمتاز المرأة الدمشقية بالعاطفة المتأججة في حبها وحزنها، والتعبير عن الألم ومواقفها، وسياستها اتجاه الحياة اليومية؛ فإنَّها راحت تبحث عَمَّا يزيد خبرتها بدينها وشؤون حياتها؛ إذ نبغت مجموعة من الأسر الدمشقية، وأصبح لتلك الأسر الباع الكبير في العلوم والمعرفة؛ فالمرأة كانت حريصة على غرس روح العلم والخير والصلاح في نفوس أبنائها؛ فكانت تفرح بابنها الذي بلغ سن التعليم، وتسعد عندما يتم حفظ بعض آيات القُرآن الكريم، سواء كان ذكرًا أم أنثى، وكثيرًا ما نرى في تراجم العلماء أَنَّهم نشأوا في بيئة علم ودين (ابن بشكوال، ١٩٥٥، ص٣٩١)، أو من بيت علم، ونباهة، وأدب، وخير، وصلاح (ابن بشكوال، ١٩٥٥، ص٣٤٣)، ومثال على ذلك: عندما ينبغ أحد أفراد الأسرة في التخصصات التي تخص فيها الأزواج أو الآباء؛ فأخذت زوجة المؤرخ ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، وأم أبنائه العلم عن زوجها الذي كان يحضر لها المحدثات؛ ليسمعنها علم الحديث، ثمَّ يسمع منها الأبناء في منزلها، ويشاركهم الأب في تعليم أولاده بعلمه (السبكي، ١٩٩٢، ص٦٠)كذلك تأثرت بعض النساء بحياة أسرهنَّ، ولاسِيَّمَا إذا كان أحد الأبوين من العلماء، ومنهنَّ ست الوزراء التي تأثرت بوالدها القاضي شمس الدِّين عُمر، شيخ الحنابلة (ابن تغري بردي، ١٩٨٠، ص١٤٨)، والشيخة فاطمة بنت المحدث التاجر[٣].

٣. **الرحلات العلميّة**: كان للرحلات العلميّة أثر كبير في ازدهار الحياة العلميّة والثقافية في دمشق؛ لأَنَّها تمثّل إحدى سمات المجتمعات الإسلامية آنذاك؛ لذا لقيت عنايةً بالغةً من لدن العلماء؛ حتّى أصبحت منهجًا علميًا وإسلاميًا؛ وذلك لالتقاء العلماء من مختلف البلاد؛ للحصول على المعرفة العلميّة والثقافية، ولغرض التباحث، ونقل العلوم والمعارف فيما بينهم، ولقاء الشيوخ والإفادة من علمهم (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص٤٧٩)، وأوضح ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) مكانة الرحلات العلميّة والأهداف المتوخاة منها؛ إذ يحدث بوساطتها الفائدة للعلماء عن طريق التعلّم، والتعليم، وإلقاء الدروس، كذلك أكد أَنَّ الرحلات لا بُدّ منها، وذلك لغرض طلب العلم، ولقاء المشايخ والعلماء؛ لأَنَّهُ عن طريقهم تكتسب المعرفة (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص٤٧٨-٤٧٩)وشجعت حرية السفر بين المدن الإسلامية على زيادة الرحلات العلميّة وازدهارها؛ إذ كان طلبة العلم ينتقلون في الأقاليم الإسلامية من بلد إلى آخر من دون أَنْ تعيقهم الحواجز أو الحدود، وحيثما رحل طالب العلم فهو يلقى العناية والترحيب في المدينة التي يحلّ فيها، ومثال ذلك: عندما رحلت السيدة فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاريّ إلى الأندلس، ثمَّ رحلت مع أبيها إلى أصبهان، ثمَّ قدم بها بغداد، وقدمت دمشق مع زوجها علي بن نجا الحنبلي، الذي سمع منها بعض طلبة العلم والحديث، وحضرت عند فاطمة بنت عبدالله الجوزدانية بأصبهان بقرية جوزدان (ابن عساكر، ١٩٩٨، ص٢٠٥).ومن العالمات اللاتي رحلن، ست الوزراء، التي رحلت لتدريس الحديث؛ إذ كانت الرحلة في طلب علم الحديث وتعلّمه من أَبرز الحالات العلميّة التي قام بها المحدثون في حياتهم؛ فقد كانت بعض تلك الرحلات تستغرق أكثر من عشر سنوات، وبعضها بلغ أربعون عامًا (الصديقي، ٢٠٠٤، ص٣٥).فقد رحلت ست الوزراء إلى مصر؛ للتحديث بصحيح البخاري، وكانت رحلتها العلميّة تلك بطلب من أحد الأمراء (ابن تغري بردي، ١٩٨٠، ص٣٨٢).كذلك رحلت صفية بنت العدل عبدالوهاب أم حمزة الدمشقية الحموية إلى مصر، ثمَّ رحلت إلى شيزر وإلى حلب ودمشق، والتي روت كثيرًا في رحلاتها، وقصدها طلبة العلم من كُلّ مكان (ابن عساكر، ١٩٩٨، ص٣٤).

**ثانيًا: المجالس العلميّة والممارسات الدِّينية للمرأة الدمشقية:**

انتشرت المجالس العلميّة في الدور والقصور والمساجد، وكان منها الأسبوعي المتمثل في خطبة الجمعة، والموسمي، مثل: شهر رمضان المبارك، ورأس السنة الهجريّ، والإسراء والمراجع، والمواد النَّبويّ الشَّريف، وكلّ ما يخص العبادات من الصّلاة، والصوم، والحج، ومنها:

١. **أثر المرأة الدمشقية في مجالس الوعظ والإرشاد الدِّيني:** حَثَّ الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز المسلمين على وعظ النَّاس وسماع الوعظ؛ تشجيعًا منهُ سبحانه وتعالى لتوضيح مكانته، وتأثيره على سلوك المسلمين، كقوله تعالى: ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـــذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة هود، الآية ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة يونس، الآية ٥٧].فقد كان أهل دمشق يبيتون ليلة السبت من كُلّ أسبوع؛ لحضور مجالس الوعظ التي كانت تعقد في المسجد الأموي عقب صلاة الفجر، وبعد ذلك يعودون إلى أعمالهم وأولادهم، وهم يتذكرون ما قاله الواعظ من الفوائد والكلام الحسن (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٤٥)، أَمَّا عن أثر المرأة الدمشقية في الوعظ والإرشاد، فكان يُسمح لهنَّ بحضور مجالس الوعظ في المساجد والزوايا والمدارس؛ أسوة بالرجال، مثل: مجلس علم الإمام أبي حامد الغزالي؛ فكانت لها القدرة العالية في الإقناع والإرشاد؛ فقد أعطت السيدة ميسون، وهي من عامة دمشق شعرها بعد أَنْ جزته وجزت معها النساء اللاتي حضرن يواسينها لخطيب الجامع الأموي يوم الجمعة (ابن العديم، ١٩٨٨، ص٤٠٩٦)؛ لكي يخبر الرجال أَنَّ النساء جادت بأغلى ما تملك ليكون قيدًا لفرس في سبيل الله، ويلهب حماسة الرجال الذين رضوا القعود، ورضوا أَنْ يكونوا مع الخوالف؛ فاستثمر خطيب الجامع الأموي تلك الحادثة، وأخذ شعور النساء، وأظهر السرعة التي بها الشعور على المصلين يوم الجمعة، وفي أثناء الخطبة شمر كُلّ واحد منهم للجهاد؛ بفضل فعل السيدة ميسون، التي أيقظت الأمة على الجهاد (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٤٦).

٢. **المرأة الدمشقية والحجّ:** كانت لشعائر الحجّ مكانة خاصة لدى أهل دمشق؛ فكانت النساء تعظم أمر الحجّ؛ فيخرج الأهل رجالًا ونساءً يصافحون الحاج (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٤٦)، وصاحبت المرأة الدمشقية زوجها في الأسفار؛ ولعلَّ أعظم رحلة صاحبت المرأة فيها زوجها هي رحلة الحج؛ ما يدلّ على علو شأنها ومكانتها؛ فكانت تذهب مع الرجال في يوم عرفة إلى المساجد القريبة منها من بعد العصر؛ اقتداءً بالحجيج في عرفات، وتنصرف بعد المغرب باكية على فوات ذلك اليوم العظيم، وتسأل الله أَنْ يرزقها وقوف عرفة العام القادم هي وزوجها (ابن جبير، ١٩٦٤، ص٢٦٤).ومن الأمثلة على حج المرأة الدمشقية هي حج السيدة جميلة بنت ناصر الدولة، التي حجت بموكب كبير مكون من أربعمائة جمل، ونشرت على الكعبة المُشرّفة عشرة آلاف دينار، وخلعت على الحجيج والناس هناك مائة وخمسون ألف ثوب؛ وبهذا الفعل التي اقتدت السيدة جميلة بما فعلته زوجة الخليفة العباسي الرشيد زبيدة من أعمال البر، والخير، والإحسان، وسقاء الحجيج (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٤٧).

**ثالثًا: المؤسسات العلميّة والتعليمية للمرأة الدمشقية:** على الرغم من وجود بعض المؤسسات العلميّة والتعليمية في دمشق، إلَّا أَنَّ المعلومات المتوافرة عنها قليلة؛ ولكن ذلك لا يشكك في وجود أماكن كانت تجري فيها الفعاليات العلميّة التي أسهمت في نشر الحركة الفكرية في دمشق، فضلًا عن كونها أماكن للقاء العلماء والأدباء، ومن تلك المؤسسات هي:

١. **المساجد:** أدى المسجد أثرًا أساسيًا في التعليم منذ صدر الإسلام، وظل يحتفظ بذلك الأثر طوال القرون التالية، ويمكن عَدّ المسجد الأصل الذي تعود إليه المدارس في نشأتها (معتوق، ١٩٩٧، ص٢١٧-٢١٨)؛ فمنذُ أَنْ جاء الإسلام أصبحت تلك المساجد هي المؤسسات التعليمية الأولى عند العرب المسلمين؛ وذلك لأَنَّ الدراسات في بداية الإسلام كانت دينية، تهدف إلى تعليم القُرآن الكريم، والحديث النَّبويّ، والقراءة والكتابة، وشرح أهداف الدِّين الجديد (عفيفي، ١٩٧٦، ص٥٢)، واستمرت وظيفة المساجد الإسلامية في نشر الوعي والثقافة بين المسلمين؛ إذ عقدت فيها الحلقات والمجالس العلميّة، ثمَّ تنوعت العلوم التي كانت تدرس فيها؛ إذ أصبحت حلقات العلم تدرس فيها اللّغة، والأدب، والنحو، والتاريخ، والسير، فضلًا عن العلوم الدِّينية (عفيفي، ١٩٧٦، ص٥٤)، ثمَّ أصبح للمسجد أهمية كبيرة في نظر المسلمين؛ لأَنَّهُ كان مكانًا للعبادة، ومعهدًا للتعليم، ودارًا للقضاء، وساحةً تتجمع فيها الجيوش، وملجأً للغرباء، ولاسِيَّمَا من طلبة العلم والعلماء؛ فكان المحدثون يعقدون فيه جلسات لرواية الحديث، كذلك كان معلمًا عمرانيًا بارزًا للمدينة الإسلامية (عفيفي، ١٩٧٦، ص٥٢).فالمسجد من المؤسسات التي أسهمت في صياغة المرأة الدمشقية ثقافيًا وعلميًا، ولمكانة المساجد وأثرهُ العظيم؛ أصبحت منارًا للعلم في كُلّ مكان؛ فقامت النساء الدمشقيات بإنشاء المساجد؛ فقد أنشأت بنت وثاب النميري أخت شبيب زوجة نصر بن محمود بن مرداس مسجدًا وبجانبه تربة مدفونة بها (المنجد، ٢٠٠٣، ص١١٩).وعملت بعض النسوة الدمشقيات في الوعظ، وإنْ لاقت السخرية والنّقد اللاذع؛ فقد جلست فاطمة بنت سهل بن بشر المدعوة ست العجم، تعظ النَّاس في بعض المساجد

(ابن جبير، ١٩٦٤، ص٢١٥).وكذلك السيدة حبيبة ابنة الشّيخ أبي عُمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، والتي تلقت علمها على يد نخبة من علماء عصرها، ومنهم: عائشة بنت معمر؛ فقد كانت تعظ النساء في المساجد (ابن جبير، ١٩٦٤، ص٢١٦).

٢. **الكتاتيب:**وهي الأماكن التي يتعلّم فيها الصـــبيان مبادئ القراءة والكتابة (ابن منظور، د.ت، ص٤٣)؛ إذ يُعَدُّ محورًا أوّليًا من محاور العلم والتعليم، ولاسِـيَّمَا أَنَّهُ كان معروفًا منذُ العصـر الجاهلي (معتوق، ١٩٩٧، ص٢١٥).أَمَّا بالنسـبة للمواد التي يتعلّمها الصـبيان فكان في مقدمتها القُرآن الكريم؛ لأَنَّهُ يُعَدُّ الأساس في توجيه عقلية الصبي؛ إذ قال ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): "إِنَّ تعلّم الولدان للقُرآن شعار من شعائر الدِّين، أَخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم...، وصار القُرآن أصل التعليم..." (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص٣٥٦)؛ فكان تعليم القُرآن الكريم يحدث بأسـلوب الحفظ والتلقين وليس الكتابة، أَمَّا تعليم الخط والكتابة فيكون بوسـاطة الأشـعار، كذلك يتعلّم الصـبي الحديث النَّبويّ الشَّـريف، وأصـول الحساب، وصـلاة الجماعة، وبر الوالدين، ويحثهم على الفضـائل، والابتعاد عن ارتكاب المعاصـي؛ فكان مقر الكتاتيب في الجامع الأموي بدمشق (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٥٠).نلحظ أَنَّ أَغلب عالمات دمشـق تعلمن في الكتاتيب، أمثال: السـيدة زهرة بنت محمد بن أحمد بن حاجز، التي عرفت بأَنَّها شـيخة صـالحة، والتي توفيت سـنة ٦٣٢هـ؛ إذ تُعدُّ إحدى روايات عصـرها (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٧٣)، والسـيدة مؤمنة بنت بهلول، من عابدات دمشق الكبار (ابن عساكر، ١٩٩٨، ص١٢٨).

٣. **المدارس:**تُعدُّ المدارس من أَبرز المؤسسات العلميّة والتعليمية في العصر العباسي، وهي بمنزلة مؤسسات منتظمة تضم طلبة العلم في مختلف العلوم، ويدرس فيها الفقهاء والمدرسـون، وتُعين لهم الأرزاق الجارية؛ فقد ظهرت فكرة إنشـاء المدارس بعد أَنْ ازدحم المسـجد بطلبة العلم؛ للدراسـة والقراءة، وهو ما كان يؤثر على شعائر الصّلاة؛ إذ نشأت الحاجة إلى فصل المدرسة عن المسجد، كذلك نشأت المدارس تلبية لاحتياجات العقلية العربيّة الإسلامية وطموحاتها؛ ولكن ذلك لا يعني أَنَّ أثر المساجد في التعليم والتدريس قد انتهى؛ بل استمر في عمله جنبًا إلى جنب مع المدرسة (الأمين، ١٩٧٨، ص٦).وكان للمرأة الدمشقية إسهام فعال في إنشاء المدارس، وكان لتلك المدارس أثر فعال وواضـح في تطوير الحركة العلميّة، ومن تلك المدارس: مدرسة الخاتونية البرانية، والجوانية، والمدرستان للمذهب الشافعي، التي جرى بناؤها سنة ٥٤٢هـ (أبو ستة، ٢٠٠١، ص٤٧)؛ فقد أوصت السيدة ست الشام بالعناية بالمدرستين؛ إذ أوقفت عليها كثيرًا من الأوقاف، وأمرت وكيلها (ابن الشيرجي) بأنْ يحضر لها مجموعة من القضـاة؛ حتّى تشـهدهم على ما أوقفت لهما من أوقاف (النعيمي، ١٩٨٨، ص٥٠٨)، والسـيدة عذراء خاتون؛ فقد أنشـأت مدرسـة بحارة الغرباء بدمشق سنة ٥٨٠هـ؛ إذ اختصت تلك المدرسة في الفقه الشافعي والحنفي؛ فكانت تلك المدارس تقام باسم الذي أنشأها، وأوّل مدرسة قامت بالشام هي: المدرسة الرشائية[٤] (ابن شداد، ١٩٩١، ص٢٤٣).

٤. **الخوانق والربط والزوايا:**وهي أماكن عبادة تخص النســـاء أكثر من الرجال، ومن أشـــهر الخوانق خانقاه الدويرية، وهي من أقدم الخانقاوات الدمشقية على الإطلاق، وخانقاه السمسياطية (النعيمي، ١٩٨٨، ص٥٠٩)، والخانقاه الحسامية التي أقامتها أم حسام الخاتونية في دمشق زوجة صلاح الدِّين، وأرملة نور الدِّين، ولها معروف، وصدقات، ورواتب للفقراء (ابن شداد، ١٩٩١، ص٢٧٧)، وقد أسهمت تلك المؤسسات بأثر كبير في نشـر العلوم الدِّينية، وقد أقبلت عليها العامة؛ لأَنَّها كانت توافر لهم الرعاية الاجتماعية (أبو سـتة، ٢٠٠١، ص٤٧).وقد أنشـأت السـيدة زهرة خاتون رباطًا بالقرب من المدرسـة العذراوية، وكذلك رباط بنت الدفين، ورباط بنت السـلار فاطمة، حتّى وصـل عدد الرباطات التي قامت بإنشـائها النساء إلى ستة أربطة (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٥٢).

**رابعًا: الميادين العلميّة للمرأة الدمشقية:**

١. **العلوم الدِّينية:**حظيت العلوم الدِّينية بعناية بالغة من لدن النساء الدمشقيات؛ نظرًا لأثرها الكبير في جوانب حياتهم المختلفة، وتشمل تلك العلوم ما يأتي:

أ. **القُرآن الكريم وعلومه:**لقد أقبلت الفتيات والنســـاء الدمشـــقيات على حفظ القُرآن الكريم؛ لكثرة معلميه، وعن طريق عرض العالمات في مجال الحديث والتصـــوف، ونجد أَنَّ كُلّ عالمة تقوم يُقال لها وعنها أَنَّها حفظت القُرآن الكريم؛ بســـبب الشـــعور الدِّيني المســـيطر على عامة المجتمع الدمشـقي في العصـر العباسـي (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٥٦)، فنجد كاتبًا وشـاعرًا يسـمى حسـن بن إسـماعيل بن الحسـن، الذي يصـف جارية تقرا القُرآن الكريم؛ فيقول (ابن العديم، ١٩٨٨، ص٢٣٥٢):

وجـاريـة مـثـل الـهـلال بـهـا أنسـى وتـربـو عـلـى الـبـدر الـمـنـيـر مـع الشـمـس

وإذا تـلـت الـقُـرآن أحسـب أنَّـنـي أرى الحور تشـدوني بـه في ذري الشـمس

فنلحظ عناية المرأة الدمشـقية بقراءة القُرآن الكريم وحفظه؛ فمن لا تجيد حفظ القُرآن تقرا الكوثرية؛ أي من بداية سـورة الكوثر إلى الختام حتّى تحفظها (ابن جبير، ١٩٦٤، ص٢٤٦)، ومن تجيد الحفظ فتقرأ سبع القُرآن الكريم، وذلك يوميًا في المسجد أو منزلها، وتحتفظ دمشق في المسجد الأموي بالمصحف العثماني الكريم الذي أرسله الخليفة عثمان بن عثمان (ﷺ)، وتفتح الخزانة المحفوظ بها المصحف كُلّ يوم جمعة بعد الصّلاة؛ فيزدحم النَّاس على لثم هذا المصـحف وتقبيله، ولعظمة القُرآن الكريم عندهم يقومون بتحليف الخصـوم، ومن ادعوا عليه شـيئًا عند محراب الصحابة بالمسجد، وإذا أصاب أهل دمشق مكروه من مرض، أو ظمأ، أو ريح مهلكة؛ يجتمع أهل دمشق وسائر طبقات المجتمع الدمشقي في الجامع، ويبيتون ليلة الجمعة ما بين مصـل، وداع، وذاكر حتّى صـلاة الصـبح، ويخرجون ومعهم المصـاحف (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٥٧)، والسبب في عدم ظهور المرأة في علم القراءات نظرة الفقهاء واتفاقهم في صوت المرأة بأنَّهُ (فتنة)، إلَّا في حالات التعليم، ولهذا فقد اقتصر أثرها في القُرآن الكريم على حفظه وتعليمه لغيرها في المنزل، وفي نطاق العائلة، ومع ذلك كانت الجواري والنساء الدمشقيات تتلو القُرآن الكريم، والذي أعجب بها أحد الشعراء، كما ذكر سابقًا (ابن العديم، ١٩٨٨، ص٢٣٥٢)ومن النساء العالمات التي أتمت حفظ القُرآن الكريم، واشتهرت بعلمها الغزير وزهدها المعروف بدمشق هي السيدة خديجة بنت الحسن بن علي الدمشقية، التي كانت تعلّم النساء قراءة القُرآن الكريم وحفظه، وقد توفيت سنة ٦٤١هـ (دعبول، ١٩٩٨، ص٨٦)، والسيدة زمرد خاتون التي قرأت القُرآن الكريم، وسمعت الحديث، واستنسخت الكتب، وأنشأت المدرسة الفقهية للحنفية، والتي بنيت المسجد الكبير في دمشق، والتي توفيت سنة ٥٥٧هـ (ابن عساكر، ١٩٩٨، ص١٦٧)كذلك برعت إحدى النساء الدمشقيات في علوم القُرآن الكريم، ولاسِيَّمَا علم التفسير، والتي حفظت كتاب الجواهر في تفسير القُرآن الكريم لوالدها في ثلاثين مجلدًا، ومن كثرة إتقان النساء لحفظ القُرآن الكريم؛ أطلقت عامة المجتمع عليها لفظ المقرئة خديجة بنت أحمد عبدالدائم، التي كانت تلقن النساء القُرآن الكريم في دير الحنابلة بدمشق (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٥٨).

**ب. علم رواية الحديث:**اعتنت دمشق بدراسة علم الحديث عناية بالغةً؛ لأَنَّهُ يمثّل المصدر الثاني في التشريع الإسلامي بعد القُرآن الكريم؛ لذا أقبل العلماء على طلبه وجمعه، والرحلة في سبيله، كذلك يُعَدُّ من العلوم التي لها مكانة كبرى في حياة المسلمين الدِّينية؛ لذلك قالوا عنهُ: "إنَّ علم الحديث من العلوم الشرعية، وأَنَّهُ من أصول الفروض؛ لذا وجب الاعتناء به، والاهتمام بضبطه وحفظه" (ابن الأثير، ١٩٦٩، ص٣٩-٤٠)، كذلك فإنَّهُ يبحث في إسناد الأحاديث النّبويّة، ويتعرّف إلى روايتها، فضلًا عن أَنَّهُ يتطرّق إلى معنى الأحاديث من ألفاظها، والمقصود بها، مستندًا إلى قواعد اللّغة، وضوابط الشريعة، ومطابقًا لأحوال رسول الله (ﷺ) (حاجي خليفة، د.ت، ص٦٣٥-٦٣٨)؛ لذا أقبل المحدثون وطلبة الحديث على معرفة ناسخه، ومنسوخه، ورجال السند، وصحة المتن، والتفسير، والقراءات، والأخبار (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص٣٥٩).وقد شاركت المرأة الدمشـقية في هذا العلم، وكُن محدثات بارعات تعلّم على أيديهنَّ كثير من الرجال، واعترف كُلّ من تتلمذ على أيديهنَّ بالفضـل، ومن العالمات الدمشقيات اللواتي اعتنت في مجال الرواية، المحدثة المقرئة آمنة بنت أبي عُمر بن قدامة، التي توفيت سنة ٦٣١هـ، وقد حفظت القُرآن الكريم، وأقرأت النسوة في دير الحنابلة بصالحية دمشق، والسيدة آسية بنت شهاب محمد بن خلف الصالحي، التي توفيت سنة ٦٣١هـ، وحفظة كتاب الله عزَّ وَجَلَّ، وسمعت الحديث وروته، والمُدرّسة الحافظة آسية أم محمد بنت عبدالواحد المقدسية، التي توفيت سنة ٦٤٠هـ، وقد حفظت القُرآن الكريم، ودرّست النساء، روت، وكانت كثيرة الصوم والصّلاة (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٦٠)، والسيدة الفقيهة أمة اللطيف بنت ناصح الدِّين بن الحنبلي الدمشقية، والتي توفيت سنة ٦٥٣هـ؛ فكانت عالمة ثرية، وقد أنشأت مدرسة للحنابلة بدمشق، وكانت تنصح أخت صلاح الدِّين ربيعة خاتون ببناء مدرسة للحنابلة بصالحية دمشق (النعيمي، ١٩٨٨، ص٨٩)ومن النساء العالمات المشهورات التي اعتنت بالحديث النَّبويّ، السيدة ست الوزراء التي روت كثيرًا من علم أبيها قاضي عصره في دمشق (ابن كثير، ١٩٨٢، ص٧٩)، وروت في دمشق ومصر بتعليمها صحيح البخاري، الذي تضمّن أكثر من سبعة آلاف حديث، وكانت من ألمع من حَدَّثَ بصحيح البخاري في القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريّ؛ حتّى عدّها بعضهم أَنَّها آخر نساء العالم رواية لاحاديث البخاري (الندوي، ٢٠٠٧، ص١٠٥)، وكما قال ابن كثير: "كانت تدرس حتّى آخر

نفس، من آخر يوم في حياتها الطويلة" (ابن كثير، ١٩٨٢، ص١٤٤)، والمحدثة أم الفضل كريمة بنت عبدالوهاب القرشية، التي برعت في الرواية، وعرفت بحسن أدائها؛ حتّى أطلق عليها (مسندة الشام)؛ إذ حصلت على الإجازة، وروت عن العديد من المشايخ (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢١٦)، والشيخة المعمرة بنت المحدث العلّامة الأمين أبي محمد بن عبدالوهاب بن علي، التي توفيت سنة ٦٤١هـ بالمطيرة، إحدى قرى دمشق (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٦١).وكثر عدد النساء الدمشقيات اللواتي اشتغلن برواية الحديث؛ لدرجة أَنَّ ابن عساكر الدمشقي تلقى علم الحديث وعلوم أُخرى على أيدي ثمانين امرأة من نساء عصره العالمات، ولم يجد أي حرج أَنْ يجلس إليهنَّ أو يسمع منهنَّ (ابن عساكر، ١٩٩٨، ص٤).

ج. **الفقه**:الفقه معناه: العلم بالشيء والفهم لَهُ (ابن منظور، د.ت، ص٣٤٥٠)، ويعني: العلم الذي يتناول القُرآن الكريم والحديث النَّبويّ؛ بقصد الفهم، واستخراج الأحكام من أدلتها التفصيلية؛ لتنظيم حياة المسلمين الدِّينية والدنيوية؛ أي معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب، والحظر، والكراهية (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص٣٦٣)وعندما جاء الأوزاعي(٥)، الذي انتشر مذهبه في الشام مُدّة طويلة، وذاع صيته؛ حتّى عَمَّ عامة المجتمع الدمشقي؛ إذ تفقه النَّاس على مذهبه في العبادات؛ فكانت عبادات دمشق على مذهب الإمام الأوزاعي، واستفادت النساء من علمه؛ فكان للأوزاعي مجلس للفقه بجامع دمشق (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٦٤)، ونلحظ أَنَّهُ في تلك الحقبة انتشار العلوم النقلية؛ فقد نبغت النساء فيها، وأصبحن فقيهات عالمات تدرس الفقه في منزلها أو في المسجد لمن يسمعها؛ فكانت السيدة حبيبة ابنة الشّيخ أبي عُمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، فقيهة، وقد اتخذت لنفسها مكانًا تعظ فيه النساء، وتعلمهنَّ أمور دينهنَّ (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٦٥)، والسيدة الفقيهة خديجة بنت الحسن بن علي الدمشقية، التي عكفت على حفظ القُرآن الكريم، واشتغلت بالفقه مُدّة من عمرها، وسمعت من العلماء، ثمَّ حدثت بما سمعت بالإجازة، توفيت سنة ٦٤١هـ (دعبول، ١٩٩٨، ص٩٠)، ويرجع عدم ظهور النساء في الفقه كما ظهرت في رواية الحديث إِلى تخصص الرجال في هذا العلم، ونظرة المجتمع للمرأة الدمشقية عندما تجلس للفتوى؛ ولكنَّها أبدعت في الفقه في أثناء شرحها لعلوم القُرآن الكريم والحديث النَّبويّ، والسبب الآخر لعدم ظهور المرأة صراحة في مجال الفقه، وعناية نساء الطبقة الحاكمة بالفقه، وبناء المدارس، وإحضار الفقهاء على جميع المذاهب؛ لكي يقوموا بالتدريس في تلك المدارس؛ لغرض معرفة النَّاس في الأحكام، وعدم إلزام المجتمع بمذهب واحد يشق عليهم (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٦٦).ومثال ذلك خرجت امرأة عامية تسأل أهل الذكر من القضاة عن صحة زواجها من زوج أختها؛ إذ خرجت امرأة تدعى فاطمة بنت سهل بن بشر بن أحمد الاسفرايني إِلى القاضي أبي الفضل الخشاب، وكان زوج أختها قد طلّق أختها (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٦٦)، وتزوج بفاطمة قبل انقضاء عِدَّة المطلقة؛ فقال لها القاضي: مذهب الشافعي يجيز نكاح الأخت قبل انقضاء عِدَّة الأخت؛ فقالت المرأة لَهُ: أنا شافعية، وأقامت على نكاحه (ابن عساكر، ١٩٨٨، ص٢٥)، ويدلّ هذا الموقف على خروج المرأة لطلب العلم، وعلى ذكاء القاضي وغزارة علمه؛ فبعلمه أنقذ تلك المرأة وجعلها تحتفظ بزوجها، ولا يحدث أبغض الحلال عند الله. ولأهمية الفقه في المحافظة على الحياة العامة؛ فهو المنظم لشؤون الحياة، مستندًا في ذلك إِلى أدلة القُرآن الكريم، والسُنّة النّبويّة، وأقوال الصحابة (ﷺ) واجتهاداتهم، وقد حرصت نساء الطبقة الحاكمة في العصر العباسي بذلك العلم، ولضيق وقتهنَّ وعدم تفرغهنَّ لكي تتعلمن؛ قُمن ببناء عدد من المدارس التي تُعنى بالفقه الإسلامي؛ إذ قامت السيدة ست الشام الخاتون بإنشاء مدرستين بدمشق الشام البرانية، والشام الجوانية، وجعلتهما لدراسة العلوم الدِّينية، وأوقفت عليهما الأوقاف الكثيرة؛ فكان من شروط العمل بها أَنْ لا يلتحق المدرس بها بمدرسة أُخرى (النعيمي، ١٩٨٨، ص٢٢٧)، والسيدة عصمت خاتون صلاح الدِّين، التي أقامت مدرسة للحنفية، ورباطًا للصوفية بمحلة حجر الذهب في دمشق (ابن تغري بردي، ٢٠٠٨، ص٩٩).

٢. **العلوم الأدبية**:أسهمت المرأة الدمشقية في العصر العباسي في تطوير النهضة الأدبية؛ فقد كان لها أثر واضح في ذلك المجال، ولم تقتصر عنايتها على علم واحد فقط؛ بل اعتنت بجميع فروع العربيّة، وآدابها، وفنونها المختلفة، كالشعر، وفن الخط العربيّ، ويمكن توضيحها على النحو الآتي:

أ. **الشعر**:يُعَدُّ الشعر فنًا من فنون الأدب التي نبغ فيها العرب؛ لجمال الطبيعة، وكثرة مفرداتها، وأَبرز مفرداتها، المرأة التي كانت نبع الإلهام الشعري للشعراء (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٧٧)وقد لقيت صناعة الشعر عناية فائقة ورعاية بالغة منذُ عصر الإسلام؛ إذ يُعَدُّ الشعر من معارف العرب القديمة؛ فهو ديوان العرب الذي يسجل فيه مشكلاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، ودياناتهم، وأحداثهم (الجمحي، ١٩٨٠، ص٢٤)، وهو عبارة عن كلام موزون ومقسم على عِدَّة قطع، متحدة القافية، تدعى كُلّ قطعة منهُ بيتًا، ويسمى الكلام بأجمعهِ قصيدة وكلمة، وله خصائص تأتيه من

الوزن والقافية (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ص٥٠٣)، وقد كان للرجال بدمشق النصيب الأكبر في ذلك الباب، وبرعوا فيه، وأصبحوا من الشعراء المعدودين في ذلك المضمار (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٧٧).وهناك تساؤل: هل كان للمرأة أثر ملحوظ في الشعر؟ وهل قالت الشعر وأصبحت شاعرة؟ ومن هنا تأتي الإجابة عن السؤال بالإيجاب: نعم، قالت الشعر ونبغت فيه؛ ولكن طبيعة الحياة السياسية أثرت على جوانب الحياة جميعها؛ فقللت من نتائجها الشعري، وكذلك الشعور الدِّيني الذي أضعف من النتاج أيضًا؛ فعندما مَرَّ الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م) بدير صليبا بدمشق، ونزل على أهله ضيفًا، خرجت لَهُ فتاة تسمى شعاتين؛ فأحسنت إلى الخليفة المتوكل، وأكرمت وفادته ومدحته بالشعر قائلة (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٧٨):

**يا خاطبًا مني المودة مرحبًا ... سمعًا لأمرك لاعدمتك خاطبًا**

**أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني ... وأعدل بكأسك عن خليلك أَنْ أبى**

**قد والذي رفع السّماء ملكتني ... وتركت قلبي في هواك معذبًا**

وقضى المتوكل معها يومًا غريبًا فريدًا، ورغبها في الإسلام؛ فأسلمت، وتزوجها، ولم تزل عنده حتّى قُتِلَ (ابن عساكر، ١٩٩٨، ص٢٩٢)أَمَّا المرأة الدمشقية الشاعرة التي كانت تسكن بدير بصرى[٦]، فكانت راهبة فصيحة اللسان، ساجلت أبا الحسن علي بن محمد بن المظفر الشمشياطي، وعندما نزل الدير، قال: ما فيكم شاعر؛ فقالوا: ما فينا إلَّا امرأة كبيرة في السن، فجاءت وأنشدت (ابن عساكر، ١٩٩٨، ص٢٩٤):

**أيا رفقة من دير بصرى تحملت تؤم الحمى حييت**

**من رفقة رشدا إذا ما بلغتم سالمين فبلغوا**

**ب. فن الخط العربي**يُعَدُّ الخط العربيّ فنًا وعلمًا يرفع صاحبه؛ فقد قال الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ): "عليكم بحسن الخط؛ فإنَّهُ من مفاتيح الرزق"، وقد اعتنت الدولة العباسية بالخط العربيّ، ولاسِيَّمَا دمشق، التي كانت تعلّم الصبيان الخط والكتابة على يد معلم متخصص في ذلك (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٨٢)؛ فكان يجري تدريب الصبية على الكتابة والخط الجيد عن طريق الكتابة على الألواح؛ فالقُرآن الكريم يجري تعليمه بالتلقين، والخط بالكتابة (ابن جبير، ١٩٦٤، ص٢١٥)، وللخط والكتابة مكانة عظيمة في الدولة العربيّة الإسلامية؛ فقد جرى تدوين التراث العربيّ الإسلامي عن طريق الكتابة، التي قام بها العلماء بخطوطهم، ويظن أَنَّ خط النسخ والرقعة كانا موجودين في دمشق؛ فقد نسخت بعض النساء القُرآن الكريم (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٨٣)، وكانت القراءة والكتابة من عوامل تعليم المرأة ونبوغها في كثيرٍ من العلوم؛ فأصبحت عالمة، ومحدثة، وفقيهة، وكاتبة، وشاعرة، كذلك أهل الخط العربيّ بعضهن أَنْ تتولى الوظائف المرموقة في الدولة، حتّى لو كانت جارية؛ فنلحظ أَنَّ بعض الجواري عملن في منازل العلماء؛ فكانت تعدل ما يلزم من أوراق وأقلام ومحبرة، وتنظم دخول الطلبة عليه (ابن العديم، ١٩٨٨، ص٥٦٧)ومن النساء اللواتي ذاع صيتها في فن الخط العربيّ، فاطمة بنت الحسن بن الأقرع أم الفضل الكاتبة والمؤدبة؛ لأَنَّها كانت تكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البواب (الذهبي، ١٩٧٦، ص٤٨٠)، والكاتبة شهدة بنت أبي نصر بن أبي الفرج، التي كتبت بالخط المنسوب على طريقة الكاتبة بنت الأقرع، وما كان في زمانها من يكتب مثلها؛ فاشتهر ذكرها وصيتها في الخط العربيّ (ابن الدبيثي، ١٩٩٧، ص٣٩٥)؛ إذ تُعدُّ من المحدثات البارعات، وكان لأسرتها وأبيها الفضل في تعليمها؛ إذ تعلّم على يدها ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، وكانت تكتب أحاديثها وتعرضها على طلابها (الذهبي، ١٩٧٦، ص٥٤٣).

**٣. العلوم العقلية:** يُعَدُّ الطب من العلوم العقلية، وله فوائد عظيمة للمرأة والرجل، ويسير مع المجتمع؛ إذ سار؛ لأَنَّهُ من العلوم التي تُعنى بصحة الإنسان وتحافظ عليه (ابن جلجل، د.ت، ص٥٣)، وهذب الطب النَّبويّ الطب الوقائي (دياب، د.ت، ص١٤)، وامتزج طب البلاد المفتوحة بطب رجال الفتح الإسلامي؛ إذ تقدّم الطب رويدًا رويدًا في العصر العباسي؛ إذ قامت مجموعة من النساء بنقل خبرة الأطباء إلى

النســاء الدمشــقيات؛ إذ اعتنت الدولة بالمريضــة، ووفرت لها كُلّ ما تحتاجه من أطباء وبيمارســتانات، ولكثرة الأطباء الرجال لم تظهر طبيبات خاصــة بالنســاء؛ لنظرة الفقهاء، ولعمل المرأة في ذلك الجانب، ومراقبة المحتسب على الأطباء الرجال الذي أدى بدوره إلى إحجام أثر المرأة عن ذلك المجال، وإنْ عملت به كانت تعمل وهي متخفية، وسـمحت الدولة العباسـية أَنْ تتعلّم تلك المهنة بالقدر الضـئيل؛ لكي تسـاعد به النسـاء المجتمع الدمشقي، مثل: الداية، وما تقوم به من عمل عمليّة الوضع ومتابعتها (رفاعي، ٢٠٠٩، ص٢٩٠)كذلك نلحظ عناية ست الشام بالطب ومتابعة البيمارسـتان، وأمدته بأنواع الأشـربة، والأدوية، والعقاقير، وأنفقت عليها آلاف الدنانير الذهبية، مع إقامة مرافق للغرباء، سـاعد ذلك على ظهور إحدى النسـاء التي عملت بالطب بجانب الأطباء الذين تخصـصـوا في علاج النسـاء، وهي السـيدة شـهد الدينورية[٧]، وبنت دهن اللوز[٨] (ابن خلكان، ١٩٧١، ص٣١٢).

## الخاتمة:

بعد هذهِ الدّراسة المستفيضة للإسهامات العلميّة للمرأة الدمشقية في العصر العباسي؛ توصلت إلى عِدَّة نتائج، أبرزها:

١. برعت المرأة الدمشــقية في الحياة العلميّة والثقافية، ونبغت في العلوم العقلية والنقلية؛ فكانت من النســاء الشــاعرات، والمحدثات، والمقرءات للقُرآن الكريم، والفقيهات، ومنهن من امتازن بحسن الخط؛ حتّى استعملها الحُكام في كتابة الهدن.

٢. امتازت دمشـق بأنَّها مدينة العلم والعلماء؛ لوجود كثير من المؤسـسـات العلميّة، كالمسـاجد، والكتاتيب، والخوانق، والربط، والمدارس، وغيرها؛ فاكتسبت مكانة ثقافية وعلمية كبيرة.

٣. لقد كان لنسـاء الطبقة الحاكمة الفضـل في إجادة المرأة في الحياة العلميّة والثقافية؛ إذ أدت نسـاء الحُكام في العصـر العباسـي أثرًا بارزًا في الحياة العلميّة، وحرصت المرأة على تخليد ذكراها بإقامة المدارس، والخوانق، والرباطات، وبفضل إنفاقها ووقفها على تلك المنشآت.

٤. نبغت المرأة الدمشقية في علم الطب ونقلت خبراتها المتوارثة لمن حولها في المحافظة على المجتمع الدمشقي.

## المصادر والمراجع:

القُرآن الكريم.

### أولًا: المصادر الأولية:


١. ابن الأثير، مجد الدِّين أبي السـعادات المبارك بن محمد (١٩٦٩): جامع الأصـول في أحاديث الرسـول (ﷺ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، القاهرة.

٢. الأنصــاريّ، محمد بن محمد بن عبدالملك (١٩٨٤): الذيل والتكملة لكتابي الموصــل والصــلة، تحقيق: محمد بن شــريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

٣. ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن يحيى بن علي (١٩٩٧): المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطار، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧.

٤. ابن العديم، كمال الدِّين أبو القاسم عُمر بن أحمد بن هبة الله (١٩٨٨): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق.

٥. ابن بسام، أبو الحسن علي (١٩٧٩): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت.

٦. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (١٩٥٥): كتاب الصلة، تحقيق: السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٧. ابن تغري بردي (٢٠٠٨): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب القاهرة.

٨. ابن تغري بردي، جمال الدِّين أبو المحاسـن يوسـف الأتابكي (١٩٨٠): المنهل الصـافي والمسـتوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد نبيل محمد عبدالعزيز، مركز تحقيق التراث، القاهرة.

٩. حاجي خليفة، مصطفى عبدالله الحنفي (د.ت): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

١٠. ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي البلنسي (١٩٦٤): رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية – عصر الحروب الصليبية، تحقيق: حسين نصار، دار صادر، بيروت.

١١. ابن حجل، أبو داود سليمان بن حَسّان الأندلسي (١٩٥٥): طبقات الأطباء والحكام، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد الفرنسي للآثار، القاهرة.

١٢. الحجمي، محمد بن سلام (١٩٨٠): طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة.

١٣. ابن خلدون، ولي الدِّين أبو زيد عبدالرحمن (٢٠٠٠): تاريخ ابن خلدون، ضبطه ووضعه حواشيه: خليل شحاذة وآخرون، دار الفكر، بيروت.

١٤. ابن خلكان، شمس الدِّين أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن أبي الشافعي (١٩٧١): وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.

١٥. الذهبي، شمس الدِّين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن قايماز (١٩٧٦): سير أعلام النبلاء، تحقيق: جماعة من الأساتذة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

١٦. ابن رجب الحنبلي، الحافظ زين الدِّين السلامي البغدادي (د.ت): الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت.

١٧. السبكي، تاج الدِّين عبدالوهاب بن تقي الدِّين (١٩٩٢): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخرون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٨. ابن شداد، عز الدِّين أبو عبدالله محمد سيد علي بن إبراهيم الأنصاريّ (١٩٩١): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا، وزارة الثقافة، دمشق.

١٩. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (١٩٩٨): تاريخ دمشق، تحقيق: محمد علي شيري، دار الفكر، بيروت.

٢٠. ابن قيم الجوزية، شمس الدِّين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (د.ت): أعلام الموقعين، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مطبعة كليّات الأزهر، القاهرة.

٢١. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (١٩٨٢): البداية والنهاية، تحقيق: محمد عبدالعزيز النجار، دار الغد العربيّ، القاهرة.

٢٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت)، لسان العرب، تحقيق: عبدالله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

٢٣. النعيمي، عبدالقادر بن محمد الدمشقي (١٩٨٨): الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحُسيني وآخرون، دمشق.

## ثانيًا: المراجع الثانوية:

١. أبو ستة، أمل إبراهيم (٢٠٠١): عامة دمشق والحياة الثقافية، دار المصرية اللبنانية.

٢. دعبول، رضوان (١٩٩٨): تراجم أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، القاهرة.

٣. دياب، محمود (د.ت): الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٤. الصديقي، ساجد عبدالرحمن (٢٠٠٤): نشأة علم الحديث وتطورها، مكتبة الآداب، القاهرة.

٥. عفيفي، محمد صادق (١٩٧٦): تطور الفكر العلميّ عند المسلمين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦. معتوق، رشاد بن عيسى (١٩٩٧): الحياة العلميّة في العراق خلال العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.

٧. الندوي، محمد أكرم (٢٠٠٧): المحدثات النساء العالمات في الإسلام، منشورات الواجهة، لندن.

## ثالثًا: الرسائل الجامعية:

١. رفاعي، سيد أحمد رفاعي (٢٠٠٩): دور المرأة السياسي والحضاري في حلب ودمشق في العصر الإسلامي من عام ١٢٢هـ/٧٤٩م حتّى عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، أطروحة دكتوراه، كليّة دار العلوم، جامعة المنيا.

## رابعًا: الدوريات:

١. الأمين، حسين (١٩٧٨): المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم، مجلة المؤرخ العربيّ، اتحاد المؤرخين العرب، العدد٦، بغداد.

٢. المنجد، صلاح الدِّين (٢٠٠٣): دور المرأة في فن الخط العربي، بحث في كتاب عالم المعرفة، العدد٢٩٧، الكويت.

**Sources and References:**

**The Holy Qur'an.**

**First: Primary Sources:**

1. Al-Ansari, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Malik (1984): The Appendix and Supplement to the Books al-Mawsil and al-Silah, edited by Muhammad ibn Sharifa, Al-Ma'arif al-Jadida Press, Rabat.
2. al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Qaymaz (1976): Biographies of Noble Figures, edited by a group of professors, Egyptian General Book Authority, Cairo.
3. al-Hajmi, Muhammad ibn Salam (1980): Classes of the Great Poets, edited by Mahmoud Muhammad Shaker, al-Madani Press, Cairo.
4. Al-Naimi, Abdul-Qadir bin Muhammad al-Dimashqi (1988): The Student in the History of Schools, edited by Ja'far al-Husayni and others, Damascus.
5. al-Subki, Taj al-Din Abd al-Wahhab ibn Taqi al-Din (1992): The Great Classes of the Shafi'is, edited by Mahmoud Muhammad al-Tanahi and others, Dar Hijr for Printing, Publishing, and Distribution, Cairo.
6. Haji Khalifa, Mustafa Abdullah al-Hanafi (n.d.): Kashf al-Zunun an Asmi al-Kutub wa al-Funun, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut. 10. Ibn Jubayr, Muhammad ibn Ahmad ibn Jubayr al-Andalusi al-Balansi (1964): Ibn Jubayr's Journey in Egypt, the Arab Countries, Iraq, the Levant, and Sicily – The Era of the Crusades, edited by Hussein Nassar, Dar Sadir, Beirut.
7. Ibn al-Adim, Kamal al-Din Abu al-Qasim Umar ibn Ahmad ibn Hibat Allah (1988): Bughyat al-Talab fi Tarikh Halab (The Desire of the Seekers of Aleppo), edited by Suhayl Zakkar, Damascus.
8. Ibn al-Athir, Majd al-Din Abu al-Sa'adat al-Mubarak ibn Muhammad (1969): Jami' al-Usul fi Ahadith al-Rasul (The Collection of Principles in the Hadiths of the Messenger (peace and blessings of God be upon him), edited by Abdul-Qadir al-Arna'ut, Al-Halwani Library, Cairo.
9. Ibn al-Dubaithi, Muhammad ibn Sa'id ibn Yahya ibn Ali (1997): The Essential Summary of Ibn al-Dubaithi's History, edited by Mustafa Abdul-Qadir Attar, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1997.
10. Ibn Asakir, Abu al-Qasim Ali ibn al-Hasan ibn Hibat Allah (1998): History of Damascus, edited by Muhammad Ali Shiri, Dar al-Fikr, Beirut.
11. Ibn Bashkuwal, Abu al-Qasim Khalaf ibn Abd al-Malik (1955): The Book of Connection, edited by Sayyid Izzat al-Attar, Al-Khanji Library, Cairo.
12. Ibn Bassam, Abu al-Hasan Ali (1979): The Treasure of the Virtues of the People of the Peninsula, edited by Ihsan Abbas, Dar al-Thaqafa, Beirut.
13. Ibn Hajl, Abu Dawud Sulayman ibn Hassan al-Andalusi (1955): Classes of Physicians and Rulers, edited by Fuad al-Sayyid, French Institute of Archaeology, Cairo.
14. Ibn Kathir, Abu al-Fida al-Hafiz Ibn Kathir al-Dimashqi (1982): The Beginning and the End, edited by Muhammad Abd al-Aziz al-Najjar, Dar al-Ghad al-Arabi, Cairo.
15. Ibn Khaldun, Wali al-Din Abu Zayd Abd al-Rahman (2000): The History of Ibn Khaldun, edited and annotated by Khalil Shahada and others, Dar al-Fikr, Beirut.
16. Ibn Khallikan, Shams al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Ibrahim ibn Abi al-Shafi'i (1971): Deaths of Notable Figures, edited by Ihsan Abbas, Dar al-Thaqafa, Beirut, 1971.
17. Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram (n.d.), Lisan al-Arab, edited by Abdullah al-Kabir and others, Dar al-Ma'arif, Cairo.
18. Ibn Qayyim al-Jawziyya, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr (n.d.): The Notables of the Signatories, edited by Taha Abd al-Ra'uf Saad, Al-Azhar Colleges Press, Cairo.
19. Ibn Rajab al-Hanbali, al-Hafiz Zayn al-Din al-Salami al-Baghdadi (n.d.): The Appendix to the Classes of the Hanbalis, Dar al-Ma'rifa, Beirut.
20. Ibn Shaddad, Izz al-Din Abu Abdullah Muhammad Sayyid Ali ibn Ibrahim al-Ansari (1991): The Dangerous Bonds in Mentioning the Princes of the Levant and the Jazira, edited by Yahya Zakariya, Ministry of Culture, Damascus.
21. Ibn Taghri Bardi (2008): The Shining Stars of the Kings of Egypt and Cairo, edited by Muhammad Hussein, Dar al-Kutub, Cairo.
22. Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Abu al-Mahasin Yusuf al-Atabakki (1980): The Pure and Complete Source of Knowledge after the Comprehensive, edited by Muhammad Nabil Muhammad Abd al-Aziz, Center for Heritage Research, Cairo.

**Second: Secondary References:**

1. Abu Sitta, Amal Ibrahim (2001): Damascus in General and Cultural Life, Dar al-Masryah al-Lubnaniyyah.

2.Afifi, Muhammad Sadiq (1976): The Development of Scientific Thought Among Muslims, al-Khanji Library, Cairo.
3.Al-Nadwi, Muhammad Akram (2007): Female Scholars in Islam, Al-Wajha Publications, London.
4.al-Siddiqi, Sajid Abdul-Rahman (2004): The Origin and Development of the Science of Hadith, Maktaba al-Adab, Cairo.
5.Da'boul, Radwan (1998): Biographies of Notable Women, al-Risala Foundation, Cairo.
6.Diab, Mahmoud (n.d.): Medicine and Physicians in Various Islamic Periods, Anglo-Egyptian Library, Cairo.
7.Ma'touq, Rashad bin Issa (1997): Scientific Life in Iraq During the Buyid Era (334-447 AH/945-1055 AD), Institute for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Mecca.

**Third: University Theses:**

1.Rifai, Sayed Ahmed Rifai (2009): The Political and Civilizational Role of Women in Aleppo and Damascus in the Islamic Era from 122 AH/749 AD until 656 AH/1258 AD, PhD Thesis, Faculty of Dar Al-Ulum, Minya University.

**Fourth: Periodicals:**

1.Al-Amin, Hussein (1978): Islamic Schools in the Abbasid Era and Their Impact on the Development of Education, Al-Mu'arikh Al-Arabi Magazine, Union of Arab Historians, Issue6, Baghdad.
2.Al-Munjid, Salah Al-Din (2003): The Role of Women in the Art of Arabic Calligraphy, a study in the book "The World of Knowledge", Issue 297, Kuwait.

## هوامش البحث

(١) ست الوزراء: هي أم عبدالله، وزيرة بنت القاضي شمس الدِّين عُمر بن العلّامة وجيه الدِّين أَسعد بن المنجا بن أبي البركات بن المؤمل التنوخية الحنبلية الدمشقية، روت الصحيح بدمشق ومصر، توفيت سنة ٧١٦هـ. (الحنبلي، د.ت، ص٢٣٤؛ الذهبي، ١٩٧٦، ص٢٦٢).

(٢) حزيمة الدمشقية: وهي حزيمة بنت الحسن بن علي الدمشقية، من الزاهدات المعروفات بدمشق، اشتغلت بالفقه، وحفظت القُرآن الكريم، توفيت سنة ٦٤١هـ. (دعبول، ١٩٩٨، ص٨٦).

(٣) الشيخة فاطمة بنت المحدث التاجر: وهي الشيخة العالمة المسندة أم عبدالكريم فاطمة بنت المحدث التاجر أبي الحسن سعد الخير الأنصاريّ، وُلِدَت عام ٥٥٢هـ، وتحدث بما لديها من علم؛ فحدثت في دمشق (ابن خلكان، ١٩٧١، ص٢٣٨).

(٤) المدرسة الرشائية: وهي المدرسة التي تقع شمال الخانقاه السمسياطية بالقرب من الباب الشمالي للجامع الأموي المعروف بباب الناطفيين؛ إذ بُنيت تلك المدرسة سنة ٥٥٤هـ برسم حفظ القُرآن الكريم وقراءاته. (ابن شداد، ١٩٩١، ص٢٤٣).

(٥) الأوزاعي: هو أبو عمرو الأوزاعي بن محمد، من أشهر علماء الشام، وُلِدَ عام ٨٨هـ، وكان يسكن في محلة الأوزاع قريب من دمشق، ثمَّ سافر إلى بيروت وتوفي فيها عام ١٥٧هـ. (ابن قيم الجوزية، د.ت، ص٣٠).

(٦) بصرى: وهي من أعمال دمشق، قصبة حوران، مشهورة عن العرب قديمًا وحديثًا. (ابن عساكر، ١٩٩٨، ص٢٩٣).

(٧) لم نستدل لها على ترجمة.

(٨) لم نستدل لها على ترجمة.